﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾ [التّوبة: 88]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مناسبة ذِكْر المنافقين وحالهم البئيس، ثمّ ذِكْرِ جهاد النّبيّ والّذين آمنوا، للبشارة والتّأنيس

قال الفخر الرّازيّ: "لما شرح حال المنافقين في الفرار عن الجهاد بيّن أنَّ حال الرَّسول والّذين آمنوا معه بالضّدّ منه، حيث بذلوا المال والنَّفس في طلب رضوان الله والتَّقرُّب إليه" وقال البقاعيّ: [1]" ولمَّا افتتح القصّة بمدح المتَّقين لمسابقتهم إلى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك وذَكَر ما أُعدّ لهم، فقال مُعْلِمًا بالغِنَى عنهم بمَنْ هو الخير المحضُ تبكيتًا لهم وتقريعًا"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَٰهَدُواْ﴾: جذر الكلمة هو (جهد): "الجَهْدُ: ما جَهَد الإنسانَ من مَرَضٍ، أو أمرٍ شاقٍّ فهو مَجهودٌ، والجَهْدُ: بلوغُكَ غايةَ الأمرِ الّذي لا تألو عن الجهد فيه. تقول: جَهَدْتُ جَهْدي، واجتهدتُ رأيي ونفسي حتّى بلغتُ مجهودي. وجَهَدْتُ فلانًا: بلغتُ مشقَّته. وجاهدتُ العدوَّ مُجاهدةً، وهو قتالُك إيّاه"[3] والجُهْد: الطّاقة[4]، وبلغ جُهْدَه ومجهوده؛ أي: طاقَته، وجُهَادَاك أنْ تفعل كذا؛ أي: جُهْدُك وغايتُك[5].

2) ﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾: جذر الكلمة هو (خير)؛ الخير: ضدُّ الشَّر، وجمعه: خُيور[6]. وفي التَّنزيل ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [القصص: 68]، والخَيْرُ

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 16/119.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/570.
(3) الخليل، العين: (جهد).
(4) ابن سِيدَه، المُحكم: (جهد).
(5) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (جهد).
(6) ابن سِيدَه، المُحكَم: (خير).

ضدُّ الشَّرِّ وبابه: باع، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ [التّوبة: 88]، جمع خَيْرَة وهي الفاضلة من كلِّ شيءٍ، وقال: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ [الرحمن: 70][1].

3) ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: جذر الكلمة هو (فلح)؛ فلح: الفَلاحُ والفَلَحُ لغة: البقاء في الخَير[2]، وفَلاحُ الدَّهْر: بَقاؤه. وحَيَّ على الفَلاح؛ أي: هَلُمَّ على بقاء الخير"[3]. الفلح والفلاح: البقاء في النَّعيم والخير. وفي التّنزيل: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1]؛ أي: نالوا البقاء الدَّائم في الخير، وفلاح الدَّهر بقاؤه، يُقال: لا أفعل ذلك فلاح الدَّهر. والفَلاح: الفَوز بما يُغتبط به وفيه صلاح الحال. وأفلح الرَّجُل: ظفر. ويُقال لكلِّ مَنْ أصاب خيرًا: مُفْلِح[4]. وهذا هو المعنى المراد في قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التّوبة: 88]؛ أي: أولئك الّذين أصابوا الخير.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وصـفٌ لأرقـى حـالات الإيـمان والالـتـزام، لدى النّبيّ الهمام، والمؤمنين الكرام

استدرك هنا بقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ بوصف الجماعة المؤمنة وهي تَلْتَفُّ حول قائدِها رسول الله ﷺ فيصوّر المشهد أرقى حالات الجهاد والتّماسك واليقين بالله تعالى، ويُقدّم أسمى صور الجهاد بالأموال والأنفُس، مُقبلين أصحابها غير مُدبرين، فيكون جزاؤهم الخيرات والجنّات؛ فلمَّا وصفهم بالمُسارعةِ إلى الجهادِ، ذَكَرَ ما حصل لهم من الفوائدِ، وهي أنواع، أوَّلها: قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ والخيراتُ: المُسْتَحْسَنُ من كُلِّ شيءٍ[5]. ثم أشار إليهم بأنّهم هم المفلحون في الدنيا والآخرة لما حقّقوه من صدقٍ مع الله ورسوله.

(1) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (خير).
(2) الخليل، العين، وابن سِيدَه، المُحكَم، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (فلح).
(3) الخليل، العين: (فلح).
(4) ابن سِيدَه، المُحكَم: (فلح).
(5) ابن عادل، اللُّباب: 10/167.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة حرف الاستدراك، وعلاقته بما قبله:

(لكن) حرف استدراك[1]. وفيه إشارةٌ إلى الاستغناء عن نُصرة المنافقين بنُصرة المؤمنين لرسول الله ﷺ[2]. فقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾ استدراك لما فُهِمَ من الكلام، والمعنى: إنْ تخلّف هؤلاء ولم يُجاهدوا فلا ضَيْر؛ لأنَّه قد نهض على أتمّ وجهٍ مَنْ هو خير منهم، فهو على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمَا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: 89]"[3].كما أنَّ افتتاح الكلام بحرف الاستدراك يُؤذن بأنّ مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الّذي قبله أصلًا وتفريعًا. فلمّا كان قعود المنافقين عن الجهاد مسبّبًا على كفرهم بالرّسول ﷺ كان المؤمنون على الضِّدِّ من ذلك. فقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ مقابل قوله: ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ [التّوبة: 86]. وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ مقابل قوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [التّوبة: 87] كما تقدّم[4]. وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ مقابل قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

الـرَّسـول والمؤمنون معه، هم حصن هذا الدّين، ونقلة هديه المبين

نكتة التّعريض، بانتفاء الإيمان عن المُخلّفين:

وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ تعريض بأنّ الذين لم يجاهدوا دون عذرٍ ليسوا بمؤمنين[5] فلو كانوا مؤمنين حقًّا لالتحقوا بالمُجاهدين من المؤمنين، والتحقوا بالرّسول ﷺ وحازوا الفوز بمعيَّته، ولم يُراود قلوبهم محاولات التّعذّر؛ إذ لا مُبرّر للتّعذّر بانتفاء الأعذار

الإيـمـان هو الدّافع للحرص عـلى مـعـيّـة الرّسول ﷺ

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/415.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/290.
(3) ابن عادل، اللُّباب: 10/167، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/344.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/290.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/290.

الحقيقيّة، هذا وقد أنزل في أهل الأعذار قرآنًا فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النّور: 61]؛ فلم يكن ثمَّةَ حرج على ذَوي الأعذار.

دلالة (الْ) في لفظ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، وأثرها في السّياق:

(اللام) هنا في قوله: ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ للعهد، وفيها معنى التّفخيم والتّعظيم؛ إذْ أفادت تعظيم ما آل إليه المؤمنون من الكرامة؛ فقد حازوا مكانة سيغبطهم عليها عموم المؤمنين على مدى الدَّهر؛ ألا وهي معيّة الرّسول والجهاد معه، وسيكونون بتلك المعيّة؛ فهم الرّعيل الأوّل، والأنموذج المتَصدّر لكل مَكرُمة تُحقِّقها أو تطمح إليها الأجيال المؤمنة إلى قيام السّاعة.

المكانة الرّفيعة للمؤمنين، بمعيّة الرّسول ﷺ

الغرض من تقديم (الرَّسول)، في هذا الاستدراك، وبلاغته:

"ابتدأ وصف أحوالهم بوصف حال الرَّسول ﷺ لأنّ تعلّقهم به واتّباعهم إيّاه هو أصل كمالِهم وخيرِهم"[1]. فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ﴾ فذكر الرّسول ﷺ لفائدة التّعريض بالذين أتَوا الرّسول ﷺ ليعتذروا منه عن الجهاد؛ فجعل ذِكْر الرّسول ﷺ أوّلًا ومعيّته محورًا لرسوخ الإيمان، فقدّم ذِكْره ليُعلم أن لا سبيل غير سبيل الرّسول ﷺ.

الرّسول ومعيّته هما محور الإيمان، وملمح العبادة بإيقان

دلالة استخدام ﴿ٱلرَّسُولُ﴾:

جاء لفظ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ دون (النّبيّ) لما يقتضيه المقام؛ ذلك بأنّ لفظ الرّسول يقتضي رسالة؛ لأنّ كلّ رسول يكون صاحب رسالة، وذلك على خلاف النّبي، فكلُّ رسولٍ نبيّ وليس العكس.

والجهاد – وهو أمر من الله تعالى – نصرٌ للرِّسالة السَّماويّة التي ارتضاها الله لعباده، فمَنْ أعرض عن هذه المُناصرة فقد أعرض عن الإيمان بالله ورسوله ورسالته، ولذلك جاء لفظ (الرّسول).

الرَّسول هو الّذي خصّه الله بالرّسالة، والنّبيّ ليس كذلك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/290.

سرُّ إيثار التَّعبير بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

تعظيم شأن المؤمنين، لإبراز أهميّة الإيمان، ودوره في رفع الشّان

معلوم أنّ الاسم الموصول ناقص الدّلالة لا يتّضح معناه إلا إذا وُصل بالصّلة، وفائدة التّعريف هنا بالاسم الموصول في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هو التّعظيم والتّفخيم، فذكر المؤمنين بالصِّلة المُعظّمة، ولتُعلم فخامة مكانتهم عند الله، وهذا لا يكون مع استعمال الصّفة دون الاسم الموصول.

دلالة عطف قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾:

تكامل المشهد وعناصر الإيمان والعمل، في هذا السّياق البليغ

فائدة عطف قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ هو جمع منظومة الإيمان، فالرّسول ﷺ هو المحور ومورد الشّريعة ومصدر القوّة والعطاء، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ هم ميدان الحَرَاك، والتّفعيل، والنّشاط، ومجتمع الشّريعة والإيمان، فيكتمل بذلك مشهد الحياة المؤمنة الفاعلة؛ باكتمال عناصر الإيمان.

توجيه المتشابه اللّفظيّ بين آية التّوبة، وآيات في سور أخر:

معيّة الرّسول الأكـرم، وسام عظيم اختصّ به الصّحابة رضي الله عنهم

جاء في عدَّة مواضع: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [البقرة: 214]، ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [التّوبة: 88]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥٓ﴾ [التحريم: 8]، وبين موضع: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29].

فآية البقرة جاءت في بيان عظيم شأن المعيّة مع الرّسول وما يُصيبهم من عظيم الاختبار والابتلاء، فمنزلة المعيّة عظيمة ومقتضاها عظيم، وفي سورة الفتح تندرج في تعداد أوصاف مَنْ هُم في معيّة الرّسول ﷺ؛ فمَنْ أراد أن يكون في معيّة رسول الله ﷺ فعليه أن يتّصف بهذه الصّفات، فلم يذكر الإيمان، وإنّما ذكر المعيّة لبيان أوصافهم، وأمّا سورة التّحريم فالسِّياق في بيان جزاء المعيّة يوم القيامة وحفاوة الله بهم، فذَكَر الإيمان وذَكَر المعيّة معًا، ثمَّ بيَّن جزاء ذلك. ولعلَّ مجموع ما ذُكر أنّ المعيَّة مع رسول الله ﷺ هي وسامٌ ومكانة عالية لم تكن حقيقة إلا للجيل الأوَّل الّذي هو خير الأجيال

والقرون، ونأمل ألَّا يُحْرَم معية الرّسول ﷺ في الجنَّة مَن أطاع الله والرَّسول مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: 69 - 70].

سرُّ التَّقييد بالجارّ والمجرور ﴿مَعَهُۥ﴾:

"و﴿مَعَهُۥ﴾ في موضع الحال من ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ لتدلّ على أنّهم أتباعٌ له في كلّ حالٍ وفي كلّ أمر، فإيمانهم معه؛ لأنّهم آمنوا به عند دعوته إيّاهم، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم معه، وفيه إشارةٌ إلى أنّ الخيرات المبثوثة لهم في الدُّنيا والآخرة تابعة لخيراته ومقاماته"[1].

خيرات المؤمنين هي من خيرات الرّسول، ومقامهم من مقامه ﷺ

والمعيّة فائدتها كُبرى لبيان عموم حياة المؤمنين مع رسول الله ﷺ وأنّهم في جميع أحوالهم وحياتهم، مُنسجِمون مع ما يُريد الله منهم؛ فكانت تلك المعيّة في أمور حياتهم كلّها سببَ ثباتِهم في ساعات الشّدّة، وسبب النّعيم الكبير في أوقات الرّخاء.

الغرض من التّعبير بالمُسنَد جملة فعليّة:

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ ابتداءٌ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ عطفٌ عليه، و﴿جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ﴾ في موضع الخبر، و﴿جَٰهَدُواْ﴾ فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الضَّمّ، والواو فاعلٌ، وجملة ﴿جَٰهَدُواْ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ[2]. والغرض من التَّعبير بالمُسْنَد جملة فعلية ﴿جَٰهَدُواْ﴾ بيان ما فعله الرّسول ﷺ والّذين آمنوا معه؛ إذ لم يُوقفهم الّذين كذّبوا الله ورسوله ممّن رضي بالقعود عن الجهاد، فالرّسول وصحابته هم أهل رسالة سماويّة، فقد أدّوا ما عليهم من الجهاد بالأموال والأنفس، كما يُفيد التّعبير بالجملة الفعليّة التأكيد على مجاهدتهم للإسناد مرتين: إسناد الخبر إلى المبتدأ، وإسناد الفعل

الرّسول والصّحابة معه، بذلوا الأموال والأنفس في سبيل الله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/291.
(2) الدّعّاس، إعراب القرآن، ص: 474.

(جاهدوا) إلى الضمير العائد على الرسول ﷺ والذين آمنوا، وهذا التَّأكيد لا يتأتَّى إلا بالتّعبير بالمُسْنَد جملة فعليّة.

الغرض من تقديم الأموال على الأنفس، في السّياق:

المـال يُـبـذل في حـالات الـنّاس جـمـيـعـهـا، والأنـفُـس تُبذل في الجهاد

قدَّم الأموال على الأنفس لِما في ذكر الأموال من دلالة قوّة الجهاد بالمال في عموم الحياة، وأنّهم بذلوا المال وهم في معيّة رسول الله ﷺ في حياتهم اليوميّة، في ساعات الرّخاء، فلمّا جاء الجهاد في ساعات الشّدّة بذلوا الأنفس مع الأموال؛ ومَن لا يقدر على بذل المال، فإنّه لا يقدر على بذل النّفس؛ فكان بذل الأموال تربيةً دائمة لبذل النَّفس والجهاد بها.

العدول عن ذكر القَيْد: (في سَبِيلِ الله):

بـيـان أنّ معيّة الرّسول الأكرم، هي دلالة سبيل الله

في الآية اكتفاءٌ، إذ اكتفى بقوله: ﴿مَعَهُۥ﴾، دون أن يقول: (في سَبِيلِ الله)، فعندما أتى بقوله: ﴿مَعَهُۥ﴾؛ أي: مع رسول الله ﷺ؛ فلم يكن من الضّرورة بمكان بيان نوع الجهاد؛ إذ معلومٌ أنّ جهاد الرّسول هو في سبيل الله، فمَنْ جاهد معه ﷺ، فهو في أعلى حالات الجهاد ودرجاته؛ مُتَربِّعًا على سَنامها.

دلالة الوصل في ﴿جَٰهَدُواْ﴾:

تنوُّعُ الأوصاف، وتنوُّعُ الخيرات، دليـل عـلى أنّ العمل الصّالح يرفع عند الله

فقد "عُطفت جملة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ على جملة ﴿جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾، ولم تُفصل، مع جواز الفصل؛ ليُدَلّ بالعطف على أنّها خبر عن الّذين آمنوا؛ أي: على أنّها من أوصافهم وأحوالهم؛ لأنّ تلك أدلّ على تمكّن مضمونها فيهم من أن يُؤتى بها مستأنفةً؛ كأنّها إخبارٌ مستأنف"[1]. وعُطفت كذلك جملة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ على جملة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ للدّلالة على تنوّع ما هم فيه من الخيرات والفلاح، وتغاير الخيرات عن الفلاح فيصيبهم من الخير كلّه، ومن الفلاح أحسنه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/291.

الغرض من التّعبير باسم الإشارة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

الصّحابة الكرام، من التّعظيم بأعلى مقام

الإتيان باسم الإشارة لإفادة أنّ استحقاقهم الخيرات والفلاح كان لأجل جهادهم"[1]. واسم الإشارة للبعيد ليعلم ما فعلوه في سالف حياتهم وأيّامهم في معيّة الرّسول ﷺ. ويُعلم أنّ أولئك القوم الّذين حازوا معيّة الرّسول ﷺ وجاهدوا معه هم قومٌ لا يتكرّر مثالهم. وعطف جملَتَي (أولئك): ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ و﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ مع جواز الفصل كما أشرنا آنفًا لبيان ما استحقّه (أولئك) وما جُمع لهم من الخيرات والفلاح معًا، ففي التّعبير باسم الإشارة تمييزٌ لبيان مكانهم من التّعظيم.

غرض تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾:

إبراز شأن المُكرَّمين بالخيرات، ومقامهم عند ربّ البريّات

قدّم ﴿لَهُمُ﴾ على ﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ لفائدة تخصيصهم بتلك الخيرات، وإبراز شأنهم فيها، وكأنّما قد أوجدت تلك الخيرات من النّعيم والجِنان من أجلهم، فهي لهم ولَمَنْ سار على نهجهم. وليُعلم أنّ أولئك القوم الّذين حازوا معيّة الرّسول ﷺ وجاهدوا معه قومٌ لا يتكرّر مثالهم في القرون الأخرى، وفيه تعريضٌ بأولئك الّذين استأذنوا رسول الله ﷺ بعدم الخروج معه لخُسرانِهم أعظم مكانة يمكن أنْ يحوزها إنسانٌ أو يُحقِّقها في هذه الحياة.

دلالة الجمع في لفظ ﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾:

تعدُّد الخيرات وتنوُّعها، مسفرة عن إنعام الله اللّامحدود

تتعدّد دلالة صيغة الجمع في العربيّة، ويبقى السّياق هو الحاكم في هذا الأمر، فـ "الخيرات: جمع خَيْر على غير قياس، فهو ممّا جاء عَلى صيغة جمع التَّأنيث مع عدم التّأنيث؛ مثل: سرادقات وحمَّامات. وجَعَلَهُ كثير من اللّغويين جمع (خَيِّرَة) بتخفيف الياء مُخفّف (خَيِّرَة) المُشدّد الياء التّي هي أنثى (خَيِّر)، أو هي مُؤنّث

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/291.

(خَيْر) المخفّف الياء الّذي هو بمعنى (أَخْيَر). وإنّما أنّثوا وصف المرأة منه لأنّهم لم يُريدوا به التّفضيل، وعلى هذا كلّه يكون (خيرات) هنا مؤوّلًا بالخصال الخيِّرة"[1]، والظّاهر أنّ المُراد منافع الدُّنيا والآخرة. فجمع الخيرات لفائدة التّعدّد والتّكثير على خلاف المفرد الّذي يدلّ على القلّة إذا ما قُورنَ بالجمع.

فائدة تكرار اسم الإشارة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

بيان استحقاق المؤمنين من الخيرات والفلاح، ما يكرمهم به الله

في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ كرَّرَ اسم الإشارة تنويهًا بشأنهم[2]. وتوكيدًا لما استحقّوه من الخيرات والفلاح.

سرُّ التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

الاختصاص بالفلاح، وديمومة المعيّة مع الرّسول الأواه، نجاحٌ ورباح

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ رفع بالابتداء، ﴿هُمُ﴾ ابتداء ثانٍ، ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبر الثّاني والثّاني وخبره خبر الأوّل، ويجوز أن يكون ﴿هُمُ﴾ زيادة، يُسمِّيها البصريُّون فاصلة[3]، ويُسمِّيها الكوفيُّون عمادًا[4]، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾[5] وَالتَّعْرِيفُ فِي ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لِلْجِنْسِ وَهُوَ الْأَظْهَرُ إِذْ لَا مَعْهُودَ هُنَا بِحَسَبِ ظَاهِرِ الحالِ، بَلِ الْمَقْصُودُ إِفَادَةُ أَنَّ هَؤُلَاءِ مُفْلِحُونَ، وَتَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ بِلَامِ الْجِنْسِ إِذَا حُمِلَ عَلَى مُسْنَدٍ إِلَيْهِ مُعَرَّفٍ أَفَادَ الِاخْتِصَاصَ فَيَكُونُ ضَمِيرُ الْفَصْلِ لِمُجَرَّدِ تَأْكِيدِ النِّسْبَةِ، أَيْ تَأْكِيدًا لِلِاخْتِصَاصِ. فَأَمَّا إِذَا كَانَ التَّعْرِيفُ لِلْجِنْسِ وَهُوَ الظَّاهِرُ فَتَعْرِيفُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مَعَ الْمُسْنَدِ مِنْ شَأْنِهِ إِفَادَةُ الِاخْتِصَاصِ غَالِبًا لَكِنَّهُ هُنَا مُجَرَّدٌ عَنْ إِفَادَةِ الِاخْتِصَاصِ الْحَقِيقِيِّ، وَمُفِيدٌ شَيْئًا مِنَ الِاهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ، فَلِذَلِكَ جُلِبَ لَهُ التَّعْرِيفُ دُونَ التَّنْكِيرِ[6].ودلّت الجملة الاسميّة هنا على الثّبات؛ فهذا الحكم ثابتٌ دائمٌ إلى يوم القيامة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/291.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/344.
(3) المُبرِّد، المُقتَضَب: 4/103.
(4) ثعلب، مجالس ثعلب، ص: 53.
(5) النَّحّاس، إعراب القرآن: 1/27.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/246.

دلالة التّعبير بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾:

ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ أفاد حصر الفلاح بـ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الّذين لهم الخيرات، و﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الّذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في معيّة رسول الله ﷺ. فلا يستحقّها أحدٌ غيرهم، وهي من أعظم ما يُحقّقه بَشرٌ من الخير على وجه الأرض، وهي أعظم الخيرات على الإطلاق.

الإشارة إلى أنّ هؤلاء (هم) الّذين حقّقوا معيّة الرّسول الأعظم

سرُّ التّعبير باسم ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، دون الفعل:

قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، والمرادُ منه: التَّخلُّصُ من العقاب[1]. فمَن نجا من عقاب الله فقد أفلح، والتّعبير عن الفلاح بالاسم دون الفعل لدلالة الثّبات، وديمومة الفلاح واستقراره وأنّه لا يتغيّر ولا يذهب فلاحُهُم، وأنّه وعْدُ الله لهم، ولِمَن سار على نهجهم وهُداهم؛ فهو فلاحٌ مستقرٌّ في الآخرة، وقد خُتمت الآية بكلمة ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تناسبًا مع ديمومة الفلاح في الآخرة، فآخر ما ذُكِر في الآية هو الفلاح وهو يُناسب فلاح الآخرة الدّائم.

فلاح المؤمنين في الآخرة، إكرام لوجوههم النّاضرة

توجيه المتشابه اللّفظيّ في: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وردت في ستّة مواضع؛ هي: البقرة، آل عمران، التّوبة، النّور، الرّوم، ولقمان؛ لتدلّ على كمال الخير عند المؤمنين وأسباب فلاحهم. فقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]؛ والآية نفسها تكرّرت في سورة [لقمان: 5] بيّن أنّ الهداية من عند الله وهي هداية الرّسالات السّماويّة، هي سبب الفلاح. وبيّن قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]؛ أنّ الدّعوة إلى الخير والصّلاح

تكرار العبارة في القرآن، منفسح لمعانٍ متنوّعة خصبة

(1) ابن عادل، اللُّباب: 10/168.

والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، هو صلاح الأمّة والمجتمع والفرد، لذلك فهو سبب الفلاح. وبيّن قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التّوبة: 88] أنّ المعيّة مع الرّسول وصُحبته والجهاد معه هو سبب الفلاح. وبيّن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: 51]؛ أنّ الاحتكام إلى شرع الله يعني صحّة الإيمان والتّسليم بما أمر الله به وذلك سبب الفلاح، وأخيرًا بيّن قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الروم: 38] أنّ إيتاء حقوق النّاس والعناية بالمساكين وأبناء السّبيل هو من أسباب الفلاح.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(المفلحون)، و(الفائزون):

الفوز خلاصٌ من مكروهٍ، ووصولٌ إلى محبوب، والفلاح هو أعلى درجةً من الفوز

الفلاح نيل الخير والنَّفع الباقي أثره، وسُمّي الشَّيءُ باقي الأثر فلاحًا، ويُقال للأكّار (فلّاح) لأنّه يشقُّ الأرض شقًّا باقيًا، ويُقال لكلّ مَن عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير قد أفلح، ولا يُقال صَلحَ إلا إذا تغيَّر إلى استقامة الحال، والفَلاح لا يفيد التَّغيير، ويجوز أن يُقال الصَّلاح: وضع الشَّيء على صفةٍ ينتفع به سواء انتفع أو لا[1]. أمّا الفوز فهُوَ الْخَلَاص من الْمَكْرُوه مَعَ الْوُصُول إلى المحبوب؛ وَلِهَذَا سمَّى الله تَعَالَى الْمُؤمنِينَ فائزين لنجاتهم من النَّار ونَيْلِهم الْجنَّة[2].

فالفرْقُ بين الفلاح والفوز؛ أنّ الفوز خلاصٌ من مكروهٍ، مع

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 211.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 210.

وصولٍ إلى محبوب وهو الجنَّة أو الخيرات، في حين أنّ الفلاح هو أعلى درجةً من الفوز؛ إذ لم يكن بهم ما يُخاف عليهم منه، فلا مكروه يُصيبهم؛ لأنّهم حقّقوا المعيّة مع رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18]، وفوق ذلك فإنّ لهم الخيرات.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»